ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

التأسيس الديني وبناء المركز القيادي وإدارة الأزمات العسكرية في السيرة النبوية(دراسة تاريخية تحليلية)

م.د. سفيان عبد الرحيم عيد
قسم التاريخ ، كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة الأنبار ، الانبار, العراق
sufian.aeed@uoanbar.edu.iq

الخلاصة:
تناولت هذه الدراسة دور المسجد في السيرة النبوية بوصفه منظومة حضارية متكاملة أسهمت في بناء الدولة الإسلامية الحديثة، حيث لم يقتصر أثره على الجانب التعبدي، بل امتد ليشمل أبعادًا دينية وكذلك سياسية واجتماعية وعسكرية. وقد بيّنت الدراسة أن المسجد أُنشأ منذ البدايات الأولى للتأسيس النبوي نواةً لبناء المجتمع الإسلامي، ومقر لتوحيد المسلمين وترتيب حياتهم الدينية والاجتماعية.
ويهدف البحث إلى الإفصاح عن الوظائف المتعددة للمسجد في الإسلام، بوصفه مؤسسةً جامعة لم تقتصر على أداء الشعائر التعبدية فحسب ، بل امتدت لتشمل مجالات التعليم وكذلك التوجيه والإدارة، مما جعله محورًا أساسيًا في ترتيب الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الإسلامي الناشئ.
كما أوضحت الدراسة أن المسجد كان مركزًا للقيادة والارشاد وإدارة شؤون الدولة، وأسهم في ترتيب الشعائر الجماعية وترسيخ الهوية الدينية للمسلمين، بالإضافة إلى إسهامه في إدارة الأزمات العسكرية في مختلف أدوارها، سواء في التعبئة والاستعداد أو خلال المعارك أو في مرحلة ما بعد القتال، فضلًا عن إسهامه في التخطيط والتحرك العسكري.
وتوصلت الدراسة إلى أن المسجد في العهد النبوي كان مؤسسة جامعة بين المهام الدينية والإدارية والعسكرية، أسهمت في بناء مجتمع مترابط ومنظم، مما يعكس مركزية المسجد في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى.
اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي من خلال استقصاء الروايات والنصوص الواردة في السيرة النبوية وتحليلها تحليلًا موضوعيًا بهدف استنتاج الوظائف الحضارية للمسجد في العهد النبوي. كما استنجدت بالمنهج الوصفي في عرض الأحداث التاريخية المتعلقة بالمساجد وجمعها بالسياق العام لبناء الدولة الإسلامية وتحسن مؤسساتها.
الكلمات المفتاحية: المسجد، السيرة النبوية، التأسيس الديني، المركز القيادي، إدارة الأزمات، البعد العسكري، الوظيفة الحضارية للمسج

Religious Foundations, the Construction of Leadership Authority, and the Management of Military Crises in the Prophetic Biography: A Historical-Analytical Study

Assistant Lecturer Sufyan Abdulrahim Eid
Department of History, College of Education for Human Sciences, University of Anbar, Anbar, Iraq

Abstract
This study examines the role of the mosque in the Prophetic biography as a comprehensive civilizational institution that contributed to the formation of the emerging Islamic state. Its function was not confined to ritual worship; rather, it extended to encompass religious, political, social, and military dimensions. The study demonstrates that, from the earliest stages of the Prophetic foundation, the mosque constituted a nucleus for building the Muslim community and a central institution for unifying Muslims and organizing their religious and social life.The research aims to uncover the multiple functions of the mosque in Islam as an integrative institution that went beyond the performance of religious rituals to include education, guidance, and administration. This

made it a pivotal in structuring the religious, social, and political life of the nascent Islamic society.The study further shows that the mosque served as a center of leadership, direction, and state administration. It played a key role in organizing collective rituals and consolidating the religious identity of Muslims, in addition to its contribution to managing military crises at various stages—whether in mobilization and preparation, during battles, or in the post-conflict phase—alongside its role in military planning and strategic movement.

The findings indicate that the mosque in the Prophetic era functioned as a institution that combined religious, administrative, and military roles, thereby contributing to the construction of a cohesive and well-organized society. This reflects the centrality of the mosque in the establishment of the first Islamic state.

The study adopts the historical-analytical method by tracing and examining the narratives and texts of the Prophetic biography through an objective analytical approach aimed at deriving the civilizational functions of the mosque in the Prophetic era. It also employs the descriptive method in presenting historical events related to mosques and linking them to the broader context of state formation and institutional development in

Keywords: Mosque; Prophetic Biography; Religious Foundations; .early Islam Leadership Authority; Crisis Management; Military Dimension; Civilizational Function of .the Mosque

المقدمة :

يُعدّ المسجد في السيرة النبوية إحدى أبرز المؤسسات الحضارية التي ساهمت في بناء الدولة الإسلامية الحديثة، إذ لم يقتصر أثره على كونه موضعًا للعبادة وإقامة الشعائر، بل تجاوز ذلك ليشكل مركزًا جامعًا للوظائف الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية. فقد اتحد المسجد منذ البدايات الأولى للتأسيس النبوي بتشكيل نواة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، وأسهم في تنظيم العلاقات بين أفراده، وتوجيه سلوكه، وترسيخ قيم الانتماء والوحدة.

كما برز المسجد بوصفه فضاءً قياديًا وإداريًا تُقاد من خلاله شؤون الدولة، وتُتخذ فيه الأحكام المرتبطة بالمجتمع والدعوة والدفاع، مما يعكس تناسق الوظيفة التعبدية مع الأبعاد التنسيقية للدولة الإسلامية. وقد انتشر هذا الدور ليشمل تسيير الأزمات والمواقف العسكرية، سواء في مراحل الاستعداد والتحشيد، أو أثناء إدارة المعارك، أو في التعامل مع نتائجها، الأمر الذي يؤكد أن المسجد كان عنصرًا فاعلًا في بناء الدولة ترسيخ أركانها.

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز هذا البعد المتكامل للمسجد في السيرة النبوية، عن طريق تحليل أدواره المتنوعة في التأسيس الديني وبناء المركز القيادي، علاوة على دوره إدارة البعد العسكري والأزمات، بما يظهر عن عمق الوظيفة الحضارية للمؤسسة الدينية في العهد النبوي.

اهداف البحث

يهدف البحث الى تحقيق جملة من الاهداف، من اهمها:

١. بيان مكانة المسجد في السيرة النبوية ودوره في بناء الدولة الاسلامية .
٢. الكشف عن دور المسجد في ترسيخ الاسس الدينية والتربوية للمجتمع الاسلامي .
٣. توضيح وظيفة المسجد بوصفه مركزا للقيادة والادارة وصنع القرار في العهد النبوي .
٤. بيان اسهام المسجد في تنظيم الشؤون العسكرية وادارة الازمات التي واجهت الدولة الاسلامية .
٥. ابراز التكامل بين الوظيفة التعبدية والوظائف الحضارية للمسجد في السيرة النبوية .

منهج البحث

اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع الروايات التاريخية الواردة في المصادر الاصلية، وتحليل الاحداث والوقائع المتعلقة بوظائف المسجد في العصر النبوي، مع الاستفادة من المنهج الوصفي في عرض المادة العلمية، والمنهج الاستنباطي في بيان دلالاتها الحضارية والسياسية والعسكرية، وصولا الى تصور علمي متكامل لطبيعة الدور الذي اضطلع به المسجد في بناء الدولة الاسلامية.

مخطط الدراسة

المبحث الأول التأسيس الديني وبناء المركز القيادي للدولة الإسلامية
أولا: البدايات التأسيسية وبناء النواة الدينية
ثانيا: نشوء المركز القيادي للمؤسسة الدينية
ثالثا: البعد العقدي والتوجيه الهوية الدينية
رابعا: تنظيم الشعائر الجماعية وبناء الوحدة الدينية
خامسا: التحول التشريعي واستغلال الاتجاه التعبدي
المبحث الثاني : البعد العسكري وإدارة الأزمات في السيرة النبوية
اولا: مساجد التعبئة العسكرية والاستعداد للغزوات
ثانيا: مساجد القيادة الميدانية وإدارة المعركة
ثالثا: مساجد ما بعد المعركة وإدارة نتائجها
رابعا: مساجد التخطيط والتحرك العسكري
الخاتمة

المبحث الأول: التأسيس الديني وبناء المركز القيادي للدولة الإسلامية

أولًا: البدايات التأسيسية وبناء النواة الدينية

مثل التأسيس الديني في العهد النبوي مرحلة الانطلاق الأولى في بناء المؤسسة الدينية التي شكّلت الأساس الحضاري للدولة الإسلامية، حيث ارتبط هذا التأسيس بظهور المسجد بوصفه مركزًا للعبادة والتنظيم الاجتماعي في آنٍ واحد.ويُعد مسجد قباء **أول** تطبيق عملي لهذا التأسيس، إذ كان أول مسجد أُسس في الإسلام على التقوى،، وشهد بذلك القرآن الكريم.: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ»(سورة التوبة: الآية: ١٠٨) :كما ارتبط هذا المسجد بالبدايات الأولى لوصول النبي ﷺ إلى المدينة، حيث شارك في بنائه مع أصحابه، مما يعكس البعد التربوي والتطبيقي في تأسيس المؤسسة الدينية. وقد رُوي عن الشموس بنت النعمان، أنها قالت: نظرتُ إلى رسول الله ﷺ عند قدومه، حين نزل وشرع في تأسيس مسجد قباء، فرأيته يحمل الحجر أو الصخرة بنفسه حتى يضعها في موضعها، وكنت ألحظ أثر التراب الأبيض على بطنه وسرّته. وكان أحد أصحابه يأتيه قائلاً: بأبي وأمي يا رسول الله، أعطني ما في يديك، فيجيبه: «لا، خذ حجراً مثله»، حتى اكتمل بناء المسجد. وكان يقول: «إن جبريل عليه السلام هو الذي يدلّ على موضع الكعبة»، ثم قالت: وكان هذا من أقدم المساجد قبلها. »(الطبراني،د.ت، ٢٤/ ٣١٧؛ الهيثمي،١٤١٢، ١١/٤) وتعكس هذه الرواية طبيعة المشاركة النبوية المباشرة في بناء المسجد، بما يجسد مفهوم القيادة العملية، ويؤكد أن المؤسسة الدينية لم تكن مجرد بناء مادي، بل كانت نواة لتشكيل الجماعة الإسلامية الأولى في المدينة،.وبذلك مثّل مسجد قباء الخطوة التأسيسية الأولى في بناء البنية الدينية للدولة الإسلامية، والتي مهدت لاحقًا لقيام المركز القيادي الأكبر في المسجد النبوي.

ثانيًا: نشوء المركز القيادي للمؤسسة الدينية

ويمثل المسجد النبوي المرحلة الثانية في تأسيس المؤسسة الدينية في العهد النبوي، إذ يُعد المركز الذي انتقلت إليه الوظيفة الدينية من مرحلة التأسيس الأولى إلى مرحلة القيادة والتنظيم الشامل للدولة الإسلامية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة.

وقد شكّل هذا المسجد محور البناء الحضاري للدولة الإسلامية، حيث ارتبطت نشأته باللحظة الأولى لوصول النبي ﷺ إلى المدينة، وكان ذلك في الموضع الذي بركت فيه ناقته، إذ قال: فقال: «هذا المحل» أو قال «هذا المنزل إن شاء الله»(البخاري،٢٠٠١، ١١/٤؛ مسلم، د.ت، ١/ ٣٧٣) وقد أصبح مركزًا لإدارة شؤون المسلمين وتوجيههم، إضافة إلى كونه رمزًا لوحدة المجتمع الجديد من المهاجرين والأنصار.

وفي هذا السياق، تبرز مشاركة النبي ﷺ المباشرة في البناء، مما يعكس البعد القيادي والتربوي في تأسيس المؤسسة الدينية، إذ شارك أصحابه في نقل اللبن والطين، وهو ما يؤكد الطبيعة العملية لبناء المسجد.

وقد ورد في ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أرسل إلى ملأ من بني النجار فجاءوا، فقال: «يا بني النجار! ثامنوني بحائطكم هذا». قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله (البخاري،٢٠٠١، ١٠١٩/٣)

وفي جانبٍ آخر من أبعاد البناء الاجتماعي للمسجد، رُوي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: لما شرع رسول الله ﷺ وأصحابه في بناء المسجد، كان كلُّ واحدٍ من الصحابة يحمل لبنةً واحدة، بينما كان عمار بن ياسر يحمل لبنتين؛ إحداهما عنه والأخرى عن النبي ﷺ. فمسح النبي على ظهره وقال: «يا ابن سمية، للناس أجر، ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن»(البيهقي،١٤٠٥، ١٤٠٥/٢؛ ابن كثير، ١٩٧٦، ٣٠٧/٢) .

ثالثًا: البعد العقدي وتوجيه الهوية الدينية

يمثل المسجد الأقصى بعدًا عقديًا مهمًا في إطار التأسيس الديني في العهد النبوي، إذ ارتبط بوظيفة روحية وتشريعية عميقة ضمن بناء المؤسسة الدينية، على الرغم من أن النبي ﷺ لم يُشرف على بنائه. فقد اكتسب مكانته من ارتباطه بالأحداث الكبرى في السيرة النبوية، وفي مقدمتها حادثة الإسراء والمعراج، فضلًا عن كونه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

وقد شكّل التوجه إليه في الصلاة مرحلة مهمة في بناء الهوية الدينية للمسلمين، حيث كان القبلة الأولى التي صلى إليها النبي ﷺ قبل تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة. وفي هذا السياق، ورد عن ابن جريج أنه قال: إن رسول الله ﷺ في أول أمره إلى الكعبة، ثم حُوّل إلى بيت المقدس وهو لا يزال في مكة، فاستمر على ذلك. وقد صلّت الأنصار إلى بيت المقدس قبل قدومه ﷺ بثلاث سنين، ثم واصل النبي ﷺ الصلاة إليه بعد الهجرة مدة ستة عشر شهراً، حتى وجّهه الله تعالى إلى البيت الحرام. وروي ابن عباس أن النبي ﷺ كان يتجه في صلاته إلى بيت المقدس، مع حرصه على ألا يجعل الكعبة خلفه، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس(ابن حجر العسقلاني، ١٣٧٩، ٩٦/١) . روى الإمام البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار، ظلَّ النبي ﷺ يستقبل بيت المقدس في صلاته مدة ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يتطلع إلى أن يأذن الله بتحويل القبلة إلى البيت الحرام. فلما نزل الأمر الإلهي بتحويل القبلة، كانت أول صلاة أداها مستقبلًا الكعبة المشرفة هي صلاة العصر، وقد صلى معه جمعٌ من الصحابة رضي الله عنهم. وبعد انتهاء الصلاة، خرج أحدهم فمرَّ بقومٍ يؤدون الصلاة في أحد المساجد، وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ مستقبلًا الكعبة، فاستداروا في صلاتهم امتثالًا لأمر الله ورسوله، فتحولت قبلتهم إلى البيت الحرام، فاستداروا في صلاتهم نحو البيت الحرام كما هم. وكانت اليهود قد أعجبهم توجهه ﷺ إلى بيت المقدس، وكذلك أهل الكتاب، فلما وُجِّه إلى الكعبة أنكروا ذلك. قال زهير: حدثنا أبو إسحاق عن البراء بهذا الحديث، وذكر أن رجالًا ماتوا أو قُتلوا قبل تحويل القبلة، فلم يُدرَ ما يقال في شأنهم، فأنزل الله تعالى ما يبيّن أمرهم: «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» (البخاري،٢٠٠١، ١٧/١) وفي صحيح مسلم: قال سمعت البراء يقول: «صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة»(مسلم، د.ت، ٢٧٤/١) وتعكس هذه النصوص البعد التشريعي المرتبط بالمسجد الأقصى، بوصفه مرحلة انتقالية في توجيه القبلة، كما تكشف عن دوره في اختبار الامتثال والطاعة لدى المسلمين، وترسيخ استقلال الهوية الدينية عن غيرها.وعليه، فإن ارتباط المسجد الأقصى بالتوجه القبلي وبحادثة الإسراء والمعراج يمنحه مكانة مركزية في البناء العقدي للمؤسسة الدينية، ويجعل منه عنصرًا فاعلًا في تشكيل الوعي الديني للمجتمع الإسلامي في مرحلة التأسيس.

رابعًا: تنظيم الشعائر الجماعية وبناء الوحدة الدينية

بداية تنظيم الشعائر الجماعية في المجتمع الإسلامي تمثل إقامة صلاة الجمعة مرحلة متقدمة في مسار التأسيس الديني، إذ تعكس انتقال المجتمع الإسلامي من مجرد تجمع ديني ناشئ إلى كيان منظم يقوم على شعائر جماعية ذات طابع اجتماعي ووحدوي، وهو ما يعزز من وظيفة المؤسسة الدينية بوصفها إطارًا لتنظيم حياة المسلمين.وفي هذا السياق، يُعد مسجد الجمعة من أوائل المواضع التي شهدت هذا التحول، حيث ارتبط بإقامة أول صلاة جمعة بعد الهجرة، وذلك في الطريق بين قباء والمدينة، في بطن وادي رانوناء من نواحي بني سالم بن عوف(ابن الضياء،٢٠٠٤، ٣٠١/١) وقد شكّل هذا الحدث نقطة تحول مهمة في تنظيم الشعائر، إذ اجتمع المسلمون في إطار واحد لأداء عبادة جماعية منتظمة.خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة من قباء بعد ارتفاع النهار متجهًا إلى المدينة، فلما بلغ بني سالم بن عوف أدركه وقت صلاة الجمعة، فأقامها في المسجد هناك. الذي ببطن وادي رانوناء، وكانوا مائة رجل، فكانت أول جمعة صلاها ﷺ في المدينة(ابن هشام، ١٤١١، ٢٢/٣؛ ابن كثير، ١٩٨٨، ٢٤٢/٣) ويكشف هذا الحدث عن بُعد تنظيمي واضح، حيث لم تعد العبادة مقتصرة على الأفراد أو الجماعات الصغيرة، بل أصبحت تُقام ضمن إطار جماعي منظم يعكس وحدة المجتمع الإسلامي.ومن جهة أخرى، تشير بعض الروايات إلى أن إقامة صلاة الجمعة بدأت في المدينة قبل قدوم النبي ﷺ، حيث اجتمع المسلمون الأوائل لإقامة هذه الشعيرة، مما يدل على وعي مبكر بأهمية التنظيم الديني. أقيمت أول صلاة جمعة في الإسلام بعد الهجرة في حَرَّة بني بياضة، في موضع يُعرف بـ هَزْم النبيت، وهو المكان الذي اجتمع فيه المسلمون لأول مرة لإقامة هذه الشعيرة العظيمة، فكانت بذلك أول جمعة تُقام في المدينة المنورة بعد قدوم النبي ﷺ إليها. اجتمع أبو أمامة أسعد بن زرارة (رضي الله عنه) في موضع يُقال له نقيع الخضمات فجمع أربعين رجلًا من المسلمين، وأقاموا هناك أول صلاة جمعة في المدينة المنورة كان مصعب بن عمير رضي الله عنه هو الإمام في القوم من الأوس والخزرج، إذ تولّى إمامتهم في الصلاة وتعليمهم القرآن.(البستي، ١٩٩٣، ٤٧٧/١٥؛ ابن هشام، ٢٨٢/١٤١١،٢؛ السهيلي،٢٠٠٠، ٢٥١/٢) ذكر ابن سعد أن أول جمعة في الإسلام كانت حين جمع مصعب بن عمير في دار سعد بن خيثمة اثني عشر رجلًا من المسلمين، وذُبح لهم يومئذ شاة واحدة ، فصلى بهم مصعب، فكانت تلك أول صلاة جمعة تُقام في الإسلام.(ابن سعد، ١٩٦٨، ١١٨/٣) وتعكس هذه الروايات تعدد البدايات المرتبطة بإقامة صلاة الجمعة، إلا أنها تتفق جميعًا في إبراز حقيقة أساسية، وهي أن هذه الشعيرة شكّلت أحد أهم مظاهر التنظيم الجماعي في المجتمع الإسلامي، وأسهمت في ترسيخ وحدة المسلمين وربطهم بقيادة دينية واحدة.وعليه، فإن مسجد الجمعة لا يمثل مجرد موضع جغرافي، بل يجسد مرحلة مفصلية في تطور المؤسسة الدينية، حيث تحولت الشعائر إلى نظام جماعي منظم يعكس نضج المجتمع الإسلامي في مرحلة التأسيس.

خامسًا: التحول التشريعي واستقلال الاتجاه التعبدي

يُعدّ التحول في اتجاه القبلة من أبرز الأحداث التشريعية في مرحلة التأسيس الديني، إذ مثّل نقطة مفصلية في استقلال الهوية الدينية للمجتمع الإسلامي، وانتقاله من الارتباط ببيت المقدس إلى التوجه نحو الكعبة المشرفة. وفي هذا الإطار، ارتبط مسجد القبلتين بهذا الحدث بوصفه شاهدًا حيًا على هذا التحول التشريعي.وقد وقع هذا الحدث اثناء خرج رسول الله ﷺ في زيارة إلى أم بشر بنت البراء بن معرور في بني سلمة، فحضّرت له الطعام، فتغدى هو وأصحابه عندها، وحين أتى وقت صلاة الظهر، أدى رسول الله ﷺ مع أصحابه صلاة الظهر في المسجد الموجود هناك(ابن الجوزي، ١٩٩٢، ٩٣/٣) تفيد الروايات أنه بينما كان النبي ﷺ قائمًا في صلاته، وقد صلى منها ركعتين، نزل جبريل عليه السلام فأمره بالتحول إلى جهة البيت الحرام، فاستدار النبي ﷺ في صلاته مستقبلًا الكعبة، واستدار المصلّون معه كما هم. ومن ثمّ سُمّي ذلك الموضع *مسجد القبلتين*، لوقوع التحول فيه أثناء الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة(ابن سيد الناس،١٩٩٣،١/٢٦٩؛ المقريزي، ١٩٩٩، ٧٩/١؛ الصالحي، ١٩٩٣، ٣٧/٣) .وكانت صلاة الظهر يومئذٍ أربع ركعات، صلّى منها النبي ﷺ ركعتين متوجهًا إلى بيت المقدس، ثم حُوّلت القبلة في أثناء الصلاة، فأتمّ الركعتين الباقيتين مستقبلًا الكعبة، في مشهدٍ يجسّد لحظة انتقال تشريعي مفصلية في تاريخ العبادة الإسلامية.ما يظهر أثر هذا الحدث في سرعة انتقال الحكم الشرعي وتلقّيه بين المسلمين، إذ كانت صلاة الظهر يومئذٍ أربع ركعات، صُلّيت ركعتان منها إلى بيت المقدس، وركعتان بعد تحويل القبلة إلى الكعبة. وفي هذا السياق، بعد أن صلى عباد بن بشر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ، مرَّ بقومٍ من الأنصار من بني حارثة وهم راكعون في صلاة العصر، فقال: «أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل البيت»، فاستداروا في صلاتهم كما هم نحو الكعبة استجابةً للتحول الجديد في القبلة.» .(ابن سعد، ١٩٦٨، ٢٤٢/١؛ الصالحي، ١٩٩٣، ٣٧٠/٣ ؛ السمهودي،١٤١٩، ١٩١/١) .وتكشف هذه الرواية عن مدى التزام المجتمع الإسلامي بالتوجيهات التشريعية، وسرعة استجابتهم لها دون تردد، مما يعكس قوة البناء الإيماني والتنظيمي الذي قامت عليه المؤسسة الدينية في تلك المرحلة.وعليه، فإن مسجد القبلتين لا يمثل مجرد موضع تاريخي، بل يجسد لحظة تحول تشريعي محورية، أسهمت في ترسيخ استقلالية القبلة، وتعزيز وحدة الاتجاه التعبدي للمسلمين، وهو ما يعكس أحد أبعاد الوظيفة الحضارية للمؤسسة الدينية في العهد النبوي.

المبحث الثاني: البعد العسكري وإدارة الأزمات في السيرة النبوية

أولًا: مساجد التعبئة العسكرية والاستعداد للغزوات

وفي إطار توظيف المسجد في إدارة الجهد العسكري في السيرة النبوية، برزت بعض المواضع التي ارتبطت بمرحلة الاستعداد والتحشيد قبل الغزوات، حيث أدّت دورًا مهمًا في تنظيم الجيش وتعزيز الروح المعنوية.يمثل مسجد السقيا نموذجًا واضحًا للبعد العسكري للمؤسسة الدينية، إذ ارتبط بمرحلة الاستعداد لغزوة بدر، حيث عرض النبي ﷺ جيشه فيه، وأقام الصلاة، ودعا لأهل المدينة بالبركة، مما يعكس توظيف البعد الديني في رفع المعنويات وربط التحشيد العسكري بالتوكل على الله. وفي هذا الموضع وردت الرواية التي تؤكد هذا الارتباط، إذ جاء في صحيح البخاري أن النبيﷺلما خرج إلى بدر عرض جيشه عند السقيا، وصلى ودعا، كما رُوي أن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) استسقى بالعباس بن عبد المطلب في هذا المكان(البخاري،٢٠٠١، ٣٤٢/١) .وبذلك يتضح أن مسجد السقيا ومسجد الشيخين (البدائع) يمثلان نموذجين متكاملين لدور المسجد في البعد العسكري وإدارة الأزمات في السيرة النبوية؛ إذ يجسّد الأول مرحلة التعبئة والاستعداد العام قبل المواجهة من خلال الدعاء ورفع الروح المعنوية وربط الجهد العسكري بالتوكل على الله، بينما يعكس الثاني مرحلة الاستعداد الميداني المباشر واتخاذ القرار العسكري قبيل غزوة أُحد، من خلال نزول النبي ﷺ فيه ليلًا، واستعراض الجيش، وتنظيم صفوفه، وردّ من لم يكتمل أهليته للقتال.وهو المكان الذي نزل فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلاً أثناء توجهه لغزوة أحد، وصلى فيه صلوات العصر والمغرب والعشاء، وفي هذا المكا استعرض النبي (صلى الله عليه وسلم) الجيش، وردّ الصغار من الصحابة عن المشاركة في الغزوة، ثم صلى بهم صلاة الصبح، ومن ثم توجه إلى جبل أحد. وعن ابن عباس عن سعد أن النبي ﷺ صلى في المسجد الذي عند البدائع عند الشيخين وبات فيه حتى أصبح والشيخان أطمان. ويقع في موضع بين المدينة وبين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرّة إلى جبل أُحد. ويقال له: مسجد البدائع(ابن شبة، ١٣٩٩، ٧٢/١؛ السمهودي،١٤١٩، ٣٣٧/٢) .فقد نزل النبي ﷺ في هذا المكان ليلًا أثناء توجهه إلى غزوة أحد، وأقام فيه الصلوات، حيث صلى العصر والمغرب والعشاء، مما يدل على حضور البعد التعبدي في سياق التحرك العسكري، وربط الاستعداد الميداني بالثبات الإيماني.

ثانيًا: مساجد القيادة الميدانية وإدارة المعركة

تمثل مساجد الفتح (المساجد السبعة) أحد النماذج البارزة لمواضع تمركز القيادة الميدانية في السيرة النبوية، إذ ارتبطت مباشرة بإدارة العمليات العسكرية خلال غزوة الأحزاب (الخندق)، بما يعكس بوضوح البعد العسكري والقيادي للمؤسسة الدينية ودورها في تنظيم الجهد الحربي وتوجيهه. وهي سبعة مساجد صغيرة تقع في الجهة الغربية من جبل سلع، عند الجزء الذي حُفر فيه الخندق، حيث تمركز النبي ﷺ وأصحابه في هذا الموضع ليكون نقطة دفاعية رئيسة لحماية المدينة. وقد وزّع النبي ﷺ الجيش على شكل سرايا وألوية، بما يحقق التحصين العسكري والتنظيم الميداني، الأمر الذي يعكس دقة التخطيط وإدارة مواقع الدفاع.كما ارتبطت هذه المساجد بمواضع مرابطة الجيش، فسُمي كل مسجد باسم من رابط فيه وكان قائدًا لإحدى السرايا(ابن

الجوزي،١٩٩٢، ٣٠٠/٢؛ العاقولي،١٩٩٤، ١٤٨/١) وهو ما يدل على توزيع المسؤوليات وتعزيز القيادة الميدانية أثناء المعركة.وعن المطلب، روى ابن زبالة أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يوم الأحزاب، فشُغل بالدعاء حتى فاتته صلوات الظهر والعصر والمغرب، فلما فرغ جمع بينهن، فقضاهن بعد صلاة المغرب.(ابن كثير، ١٤٠٣، ١٥٩/١) وفي رواية البخاري: "لما كان يوم الأحزاب، قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»(البخاري،٢٠٠١، ١٠٧١/٣) . وروى جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺدخل مسجد الفتح، فتقدَّم خطوتين، ثم وقف مستقبلًا القبلة، ورفع يديه داعيًا الله تعالى حتى بان بياض إبطيه، وظلّ يدعو طويلاً حتى سقط رداؤه عن كتفيه، ولم يزل على حاله في الدعاء حتى أتمّه ثم انصرف. وقد سُمّي هذا المسجد بمسجد الفتح لما اقترن به من استجابة ودعاء ونصرة. وفي سياق ذلك، جاء حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) بخبر انصراف الأحزاب ليلاً، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون وقد أتمّ الله عليهم الفتح وأظهرهم على أعدائهم بفضله عز وجل(السمهودي،١٤١٩، ٢٤٣/١؛ السامرائي، د.ت،٧٧) . وسُمي هذا المسجد بمسجد الفتح لارتباطه باستجابة الدعاء فيه، حيث جاء حذيفة بن اليمان بخبر انصراف الأحزاب ليلًا، فأصبح النبي ﷺ والمسلمون وقتحقق لهم النصر من الله.وتبرز هذه المعطيات أن مساجد الفتح لم تكن مجرد مواضع للصلاة، بل كانت مراكز قيادة ميدانية، اجتمع فيها التخطيط العسكري، والدعاء، والثبات النفسي، مما يجسد بوضوح دور المسجد في إدارة الأزمات وتحقيق النصر في السيرة النبوية.

ثالثًا: مساجد ما بعد المعركة وإدارة نتائجها

تمثل هذه المرحلة امتدادًا طبيعيًا للدور العسكري للمسجد في السيرة النبوية، حيث لم تقتصر وظيفته على إدارة المعركة أثناء وقوعها، بل تجاوز ذلك إلى مرحلة ما بعد انتهاء القتال، من خلال توجيه المجتمع، وتثبيت الأمن، ومعالجة آثار الأحداث، وإعادة تنظيم الحياة داخل المدينة. وقد أصبحت بعض المواضع التي شهدت أحداثًا ميدانية أو قرارات نبوية مراكز رمزية تُجسّد إدارة النتائج وترسيخ الاستقرار بعد الأزمات.يعد مسجد المستراح أحد المواضع المرتبطة بمرحلة ما بعد المعركة، إذ يعكس جانبًا من إدارة النبي ﷺ للظروف الميدانية عقب غزوة أحد، وما صاحبها منجهد بدني وتحرك عسكري داخل محيط المدينة، بما يبرز البعد الإنساني والتنظيمي في التعامل مع نتائج الأحداث.ويُروى أن النبي ﷺ استراح في هذا الموضع أثناء عودته من غزوة أحد، وأدى فيه الصلاة، مما يدل على ارتباط المكان بحالة الانتقال من ميدان المواجهة إلى الاستقرار وإعادة التوازن داخل المجتمع. كما أن موقعه بين منازل بني حارثة وبعد مسجد بني معاوية يمنحه أهمية جغرافية ضمن النسيج الدفاعي للمدينة، إذ شكّل أحد النقاط التي ارتبطت بالتحصين المبكر للمدينة، ويُذكر أنه من المواضع التي اتُّخذت لاحقًا بدايةً لمشروع حفر الخندق في غزوة الأحزاب.ويقع المسجد في الجهة الغربية من شارع سيد الشهداء(عبد الغني،٢٠٠٣،٨٢) ، وهو ما يعكس ارتباطه المباشر بالمجال الدفاعي للمدينة، ويؤكد أن هذه المواضع لم تكن مجرد أماكن عبادة، بل نقاطًا ذات دلالة استراتيجية في إدارة آثار المعركة وتثبيت الأمن بعد انتهائها. يُعد مسجد بني قريظة من المواضع التي تعكس بوضوح مرحلة إدارة نتائج المعركة وما بعدها، إذ ارتبط مباشرةً بأحداث ما بعد غزوة الخندق، حين انتقلت القيادة النبوية من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الحسم والتنظيم الأمني داخل المدينة ومحيطها، بما يجسد وظيفة المسجد في ضبط الأوضاع وإعادة الاستقرار. فبعد انتهاء حفر الخندق وعودة النبي ﷺ إلى المدينة، جاء جبريل عليه السلام يأمر بالتوجه إلى بني قريظة، فصدر الأمر النبوي بالتحرك الفوري، حيث أذن في الناس: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»»(البخاري،٢٠٠١، ٣٢١/١) وقد شكّل هذا التوجيه انتقالًا من الحالة الدفاعية إلى تنفيذ قرار عسكري منظم، يعكس سرعة الاستجابة والانضباط في إدارة الأزمات.وحاصر النبي ﷺ بني قريظة مدة اختلفت الروايات في تحديدها، فقيل خمس وعشرون ليلة، وقيل خمس عشرة ليلة، وقيل شهرًا، وخلال هذه المرحلة ظل الموضع الذي أُقيم عليه لاحقًا مسجد بني قريظة(ة(ابن هشام، ١٤١١، ١٩٢/٤ ؛ الطبري، السهيلي،٢٠٠٠، ٢٢٣/٦؛ ابن كثير، ١٩٨٨، ٤/ ١١٩) .مركزًا للتحرك النبوي والصلاة، بما يعكس ارتباط العبادة بالفعل التنظيمي في آنٍ واحد.وروى علي بن رافع عن أشياخ قومه أن النبي ﷺ صلى في بيت امرأة من الخُضر، ثم أُدخل ذلك الموضع لاحقًا ضمن حدود مسجد بني قريظة، فأصبح المكان الذي صلى فيه ﷺ يقع في الجهة الشرقية من المسجد، عند الموضع الذي كانت تقوم فيه المنارة قبل إزالتها »(ابن شبة، ١٣٩٩، ٦٦/١؛ السمهودي،١٤١٩، ٢٩٢/٢) . ويُفهم من ذلك أن هذا الموضع لم يكن مجرد ساحة أحداث عسكرية، بل أصبح لاحقًا علامة مكانية مرتبطة بإدارة ما بعد المعركة، حيث امتزج فيه القرار العسكري بالبعد الديني، ليؤكد دور المسجد في توجيه المجتمع وإعادة بناء النظام بعد انتهاء المواجهة.

رابعًا: مساجد التخطيط والتحرك العسكري

تمثل هذه الفئة من المساجد مراكز حيوية في إدارة التحرك العسكري في السيرة النبوية، إذ ارتبطت بمرحلة الإعداد المسبق للغزوات، وتنظيم الجيوش، واتخاذ القرارات الميدانية قبل الانخراط في المواجهة. وقد عكست هذه المواضع بوضوح دور المسجد في كونه فضاءً للتخطيط والتوجيه، إلى جانب كونه موضعًا للعبادة، مما يدل على تكامل البعد الديني مع البعد العسكري في إدارة الدولة الإسلامية الناشئة. منها : مسجد جهينة ولمن هاجر من بَلِيّ، يمثل هذا الموضع نموذجًا واضحًا لمساجد التخطيط والتحرك العسكري، إذ ارتبط بتحديد المواقع وتنظيم المجال العمراني والعسكري في أطراف المدينة، بما يعكس دور النبي ﷺ في التخطيط المكاني وتوزيع الجماعات بما يخدم الاستقرار والتحرك عند الحاجة. وروى خارجة بن الحارث بن رافع، عن

أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله ﷺ يعود رجلًا من أصحابه من بني الربعة من جهينة، يُقال له أبو مريم ، فصلى في منزله. فقال نفر من جهينة لأبي مريم: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته أن يخط لنا مسجدًا، فقال: احملوني، فحُمل حتى لحق برسول الله ﷺ ، فقال: ما شأنك يا أبا مريم؟ قال: يا رسول الله، لو خططت لنا مسجدًا. فخرج النبي ﷺ إلى موضع مسجد جهينة، وكان فيه خيام لبلي، فأخذ عودًا أو محجنًا فخطّ لهم موضع المسجد، فجعل المنزل لبلي والخطة لجهينة. وروى هشام بن عروة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ تولّى بنفسه تخطيط مسجدٍ لجهينة ولمن هاجر من بلي ، وكانت منازل جهينة وبلي تقع غربي سوق المدينة(ابن الضياء، ٢٠٠٤، ٣٠٧/١؛ السمهودي، ١٤١٩، ٥٦/٣) ويُفهم من ذلك أن هذا المسجد لم يكن مجرد موضع للصلاة، بل جاء نتيجة تخطيط مباشر من النبي ﷺ لتنظيم سكن القبائل وتحديد مواقعها، وهو ما يعكس بُعدًا استراتيجيًا في توزيع الكتل السكانية بما يحقق التماسك الداخلي وسهولة الاستجابة لأي تحرك عسكري محتمل.كما يدل هذا الحدث على أن المسجد كان نقطة انطلاق للتنظيم المجتمعي والعسكري معًا، حيث ارتبط بتخطيط المجال وتثبيت الجماعات في مواقعها، مما يجعله شاهدًا على دور المؤسسة الدينية في الإعداد غير المباشر للتحرك العسكري ضمن بنية المدينة. ومن الموضع الاخرى مسجد دار سعد بن خيثمة يمثل هذا الموضع أحد النماذج المبكرة لمساجد التخطيط والتحرك العسكري، إذ ارتبط بمرحلة ما قبل اكتمال التنظيم المركزي في المدينة، وأسهم في تهيئة البيئة الدينية والتنظيمية لاستقبال القيادة النبوية وتثبيت أركان المجتمع الإسلامي الناشئ.فقد كان الصحابة يصلون الجمعة أحيانًا في دار سعد بن خيثمة قبل قدوم النبيﷺ إلى المدينة، مما يدل على أن هذا الموضع شكّل نواة أولية لتنظيم الاجتماع الديني والاجتماعي داخل المجتمع. ولما هاجر النبي ﷺ ونزل في دار كلثوم بن الهدم، صلى في المسجد الذي في دار سعد بن خيثمة بقباء وجلس فيه (السمهودي، ١٤١٩، ٢٥٢/١) وتقع دار سعد في الجهة الجنوبية الغربية من قباء، وقد أُقيم مسجد في موضعها لاحقًا، مما يعكس استمرارية الوظيفة الدينية لهذا المكان وتحوله إلى معلم ثابت في النسيج العمراني.(عبد الغني، ٢٠٠٣، ٤٨)

ويُفهم من ذلك أن هذا الموضع أدّى دورًا تمهيديًا في تنظيم التجمعات الإسلامية قبل استقرار القيادة النبوية، وأسهم في بناء قاعدة اجتماعية وتنظيمية مهّدت لمرحلة التخطيط والتحرك، مما يجعله جزءًا من منظومة المساجد التي ارتبطت بالإعداد المبكر وإدارة الحراك داخل المدينة.

الخاتمة

١-خلصت الدراسة إلى أن المسجد في السيرة النبوية يجسد مؤسسة حضارية كاملة أسهمت في بناء الدولة الإسلامية في خطواتها التأسيسية الأولى، إذ لم يكن وظيفته مقتصرًا على الجانب التعبدي، بل تعداه ليشمل مجالات دينية وسياسية واجتماعية وعسكرية متكاملة.

٢-فقد كون المسجد نواة البناء الديني للمجتمع الإسلامي، ومركزًا لتكوين الهوية الجماعية وترسيخ القيم الإيمانية، كما أسهم في تنظيم الشعائر وتوحيد صفوف المسلمين ضمن إطار جماعي منظم.

٣-كما أظهرت الدراسة أن المسجد أدى دورًا محوريًا في إدارة شؤون الدولة الإسلامية الناشئة، حيث ارتبط بوظيفة القيادة والتوجيه واتخاذ القرار، إلى جانب كونه فضاءً لإدارة الأزمات والتعامل مع المتغيرات العسكرية في مختلف مراحلها.

٤-فقد برز دوره في التعبئة والاستعداد، وتنظيم الجهود الميدانية، وإدارة نتائج الأحداث، فضلاً عن الإسهام في التخطيط والتحرك العسكري، مما يعكس تكامل الوظيفة الدينية مع البعد الإداري والعسكري.

٥-وبذلك يتضح أن المسجد في العهد النبوي كان مؤسسة جامعة بين العبادة والتنظيم والقيادة، أسهمت في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات.

٦-وهو ما يؤكد مركزية المؤسسة الدينية في صياغة البنية الحضارية للدولة الإسلامية الأولى.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

١.البخاري. محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢.البستي (ابن حبان)، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٣.البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ).

٤.ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٥.ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ).

٦.السامرائي، خليل إبراهيم، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة.

٧.ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، ط١، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م).

٨.السمهودي، علي بن عبد الله (ت: ٩١١هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ).
٩.السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٥٨١هـ)، الروض الأنف، تح: عمر السلامي، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
١٠.ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت: ٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، تح: إبراهيم رمضان، ط١، (دار القلم، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
١١.ابن شبه، عمر بن شبة (ت: ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة، (جدة، ١٣٩٩هـ).
١٢.الصالحي، محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
١٣.ابن الضياء، محمد بن أحمد (ت: ٨٥٤هـ)، تاريخ مكة المشرفة، تح: علاء إبراهيم، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
١٤.الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة).
١٥.العاقولي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٧هـ)، الرصف، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
١٦.عبد الغني، محمد الياس، تاريخ المدينة المنورة، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٧.ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، السيرة النبوية، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).
١٨.ابن كثير، الفصول في السيرة، تح: محمد الخطراوي، ط٣، (مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣هـ).
١٩.ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط١،(دار إحياء التراث العربي، د.م،١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
٢٠.مسلم، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (دار إحياء التراث العربي، د.ت).
٢١.المقريزي، أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ه ـ/١٩٩٩م) .
٢٢.ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ).
٢٣.ابن هشام، عبد الملك بن أيوب (ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تح: طه سعد، ط١، (دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ).
٢٤.الهيثمي، نور الدين علي (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ).